﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾﴾:

وأخيراً أتاها ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ﴾ أمن النار أم من الشجرة الطالعة منه النار، تقص لنا القصص إنها من الشجرة المنوَّرة المباركة: ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِي ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[1] وطبعاً من النور المتطلعة عليها ﴿إِذْ رَءَا نَارًا...﴾.

أو كان هناك في الشجرة أم نارِها النورِ تجلٍ من الله، حتى نودي موسى منها ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ﴾؟ حتى يهرف هارف ويخرف خارف ﴿إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ﴾ قائلاً:

روا باشد «انا الحق» از درختي چرا نبود روا از نيكبختي!:

إذاً جاز لشجرة أن تقول: إني أنا الله، فلماذا لم يجز من سعيد مثلي:

= ثم وضع أمرها على أنها مأمورة أو مصنوعة لا يدري من أمرها ولا بما أمرت ولا من صنعها ولا لم صنعت فوقف متحيراً لا يدري أيرجع أم يقيم، فبينا هو على ذلك إذ رمى بطرفه نحو فرعها فإذا هو أشد مما كان خضرة ساطعة في السماء ينظر إليها يغشى الظلام ثم لم تزل الخضرة تنوراً تصفر وتبيض حتى صارت نوراً ساطعاً عموداً بين السماء والأرض عليه مثل شعاع الشمس تكلُّ دونه الأبصار كلما نظر إليه يكاد يخطف بصره فعند ذلك اشتد خوفه وحزنه فرد يده على عينيه ولصق بالأرض وسمع الحنين والوجس إلا أنه سمع حينئذٍ شيئاً لم يسمع السامعون بمثله عظماً فلما بلغ موسى الكرب واشتد عليه الهول نودي من الشجرة فقيل: يا موسى فأجاب سريعاً وما يدري من دعاه وما كان سرعة إجابته إلا استئناساً بالأنس فقال: لبيك مراراً إني لأسمع صوتك وأحس حسك ولا أرى مكانك فأين أنت! قال: أنا فوقك ومعك وخلفك وأقرب إليك من نفسك فلما سمع هذا موسى علم أنه لا ينبغي هذا إلا لربه فأيقن به فقال: كذلك أنت يا إلهي فكلامك أسمع أم رسولك، قال: بل أنا الذي أكلمك، فادن مني فجمع موسى يديه في العصا ثم تحامل حتى استقل قائماً فرعدت فرائصه حتى اختلفت واضطربت رجلاه وانقطع لسانه وانكسر قلبه ولم يبق منه عظم يحمل آخر فهو بمنزلة الميت إلا أن روح الحياة تجري فيه ثم زحف على ذلك وهو مرعوب حتى وقف قريباً من الشجرة التي نودي منها فقال له الرب تبارك وتعالى: ما تلك بيمينك...

(١) سورة القصص، الآية: ٣٠.

منصور الحلاج - أم بايزيد البسطامي - أن أقول: أنا الله، حيث تجلى فيّ الله كما في الشجرة.

نص الآية «نودي يا موسى - من شاطئ الواد الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة -: إني أنا الله» فالشجرة - إذاً - هي - فقط - مذياع النداء من نورها، وليس يلزمه أن يكون المذيع بذاته فيها، وكما الملائكة يحملون نداءات الله ولا يحملون ذات الله، فالنداء - كما الشجرة والنار النور - هي من فعل الله، ومهما كان لنداء الله سمت وصوت، فليس لذات الله سبحانه سمت ولا صوت، وإنما خَلْق منه كسائر خلقه، من دون لسان ولا شفه ولا أي عضو، فإنما صوت مخلوق في الشجرة، كما يخلق في الألسنة، والفارق هو خرق المتعوَّد من الصوت النداء، وكما أن أصل الوحي خرق لعادة التعليم، فذلك النداء خارقة في خارقة، بارقة في بارقة نور النار في الشجرة المباركة الميمونة.

لقد كان هذا النداء الرباني من نور من هذه الشجرة من جانب الطور الأيمن ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَاءَ تَنبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْآكِلِينَ﴾[١] وهي الزيتونة ﴿وَنَدَيْنَاهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾[٢] ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾[٣] ﴿وَالطُّورِ ۝١ وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ ۝٢ فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ ۝٣﴾[٤] ﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾[٥].

آيات بينات تتجاوب مع بعض في مذياع النداء لموسى أنه النور الساطع من الشجرة الزيتونة في البقعة المباركة من شاطئ الواد الأيمن، دون أن

(١) سورة المؤمنون، الآية: ٢٠.
(٢) سورة مريم، الآية: ٥٢.
(٣) سورة القصص، الآية: ٤٦.
(٤) سورة الطور، الآيات: ١-٣.
(٥) سورة التين، الآية: ٢.

يكون المذيع ماكناً فيها، أم متجلياً لها، اللهم إلّا بأنوار وحيه في صوغ كلامه لسوق وحيه إلى موساه، ولذلك يقول هنا ﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ﴾ وهي هنا ربوبية الوحي، وهناك ﴿إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ حيث الوحي موجَّه إلى العالمين «ربك» وحياً إليك و«رَبِّ الْعالَمِينَ» فإنه بلاغ منك إلى العالمين!.

فلقد كان يرجو ناراً فأوتي نوراً فـ «كن لما لا ترجو أرجي منك لما ترجو فإن موسى عليه السلام ذهب يقتبس ناراً فانصرف إليهم وهو رسول نبي فأصلح الله تبارك وتعالى أمر عبده ونبيه موسى في ليلة وكذلك الله تعالى يفعل بالقائم الثاني عشر من الأئمة يصلح الله أمره في ليلة كما أصلح الله أمر موسى ويخرجه من الحيرة والغيبة إلى نور الفرج والظهور»[1].

وقد عبر عن مجيء وحيه بجيئته تعالى لأنه إتيان ربوبيته وحياً إلى رسله وكما في الأصل العبراني في التوراة تبشيراً بمهابط الوحي الثلاثة:

«وِزِئُتْ هبَّر أخاه أشِرْ بِرَخ مُوشِه إيش ها إلُوهيم إتْ بني يِسرائيل لِفِني مُوتوا وِيُّومِرْ يِهُواه مِسِيني باوْ. زارَح مِسِّعِير لامُوا هُو فيعَ مِهَر فَارَانْ وِاتّاهُ مِربِبُتْ قُدِشْ مِي مِينُوا إشْ دَاتْ لَامُوا». (سفر التثنية ٣٣: ١ - ٢).

«وهذه بركة باركها موسى رجل الله بني إسرائيل عند موته ١ وقال: الله من سيناء جاء. تجلى من ساعير، تلعلع من جبل فاران، وورد مع آلاف المقدسين، من يمينه ظهرت الشريعة النارية»[2].

وقد جاء مثلها في دعاء السمات «وبمجدك الذي ظهر على طور سيناء فكلمت به عبدك ورسولك موسى بن عمران، وبطلعتك في ساعير، وظهورك في جبل فاران بربوات المقدسين وجنود الملائكة الصافين وخشوع الملائكة المسبحين».

(١) بحار الأنوار ١٣: ٤٤ عن أبي عبد الله عليه السلام.

(٢) راجع كتابنا (رسول الإسلام في الكتب السماوية) ص ٤٤ - ٥٣ تجد تفصيل البيان حول هذه البشارة الموسوية ومن حبقوق النبي عليه السلام.

وعلى أية حال فلا تجلِّي هناك للذات ولن يكون، وإنما جلوات من ربوبية الوحي على موسى كما على المسيح ومحمد عليهم السلام وسائر المرسلين مهما اختلفت الدرجات والكيفيات.

﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا﴾ وفي خلده أن يقتبس منها قبساً لعلهم يصطلون أو يجد على النار هدى، فإذاً فاجأته هذه الجيئة بنداء من الرب، وطبعاً هو عرف أنها نداؤه دون ريب، فإن ذلك هو طبيعة الحال في الوحي وإن لم تسبق له سابقة، فالذي يوحي إلى عبده، يوحي له معه أنه وحيه، فإنه لزام استقرار الوحي في مستقره، دون أية ريبة فيه، ولا شبهة تعتريه.

لا فحسب رجالات الوحي يعرفون نداء الوحي، بل الإلهامات الإلهية - كذلك - معروفة لدى أهليها قضية تقوى الله، والتوسم الحاصل منها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا﴾[1] وكلما كانت التقوى أقوى فالفرقان على ضوئها أقوى، حتى إذا كانت عاصمة معصومة، ففرقانها أيضاً عاصم معصوم، لا يخالجه شك ولا ريبة.

وقد يروى أنه «لما نودي يا موسى قال عليه السلام: من المتكلم؟ فقال: أنا ربك - فوسوس إليه إبليس اللعين لعلك تسمع كلام شيطان! فقال عليه السلام: أنا عرفت أنه كلام الله تعالى بأني أسمعه من جميع الجهات بجميع الأعضاء!».

ومهما يكن من شيء فلا ريب أنه عرف كونه كلام الرب وحياً ومن سائر الجهات، إذ كان الكلام دون جهة من النور خارق العادات، سمعه بكل كيانه سمع الأذن والقلب، وسمع الفؤاد المتفنِّد بنور المعرفة القمة، فأصبح هو بكله سمعاً وسماعاً.

وقد تنادي ﴿نُودِيَ﴾ مجهولاً، دون «ناديته» أن لم تكن نور الشجرة مجلًّى لذات الرب سبحانه، وإنما خلق فيها صوت النداء دون جهة خاصة.

(١) سورة الأنفال، الآية: ٢٩.

وعلى أية حال كان ذلك وحياً دون وسيط ملك الوحي، مهما كان بوسيط كلام من لسان النور الساطع من الشجرة، حجابان اثنان، حيث الوحي درجات عدة كما يقول الله تعالى:

﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ﴾[1].

فَقَرْنُ «وحياً» بـ ﴿مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا﴾ قرينة أنه يعني وحياً بلا أي حجاب، اللهم إلّا حجاب الذات القدسية الألوهية، وقد حصل ذلك الوحي - فقط - للرسول الأقدس محمد ﷺ ليلة المعراج، أم وليلة القدر حيث أنزل عليه القرآن المحكم، دون أي وسيط، لا ملك الوحي، ولا كلام ولا نور ولا نار ولا شجرة أمّاهيه من وسائط وحجب، وإنما من الرب إلى قلبه القدسي الرسالي القمة: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾﴾

وهو في مقام «أو أدنى» وهو لما تدلّى، خالعاً نعل نفسه وحجاب ذاته بعد سائر الحجب، فلم يكن حينئذٍ بينه وبين الله أحد حتى نفسه![2].

وقد لا يكون سائر الوحي إلى سائر رجالات الوحي وحياً أمام ذلك الوحي وكما في الشورى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ... ﴾[3].

كما وأن صاحب ذلك الوحي القمة كأنّه هو الرسول النبي لا سواه، بما طواه وحواه، وهو لامح من آيات عدة تخاطبه كأنه هو الرسول لا سواه.

وأما متن النداء الأولى لموسى - وما أمتنها وأمكنها في قلبه بما طواه وحوى - فهو:

---

(١) سورة الشورى، الآية: ٥١.
(٢) راجع الفرقان تفسير سورة النجم حول آيات المعراج.
(٣) (٤٢: ١٣).

﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ﴾ إني المكلِّم إياك «أنا» لا سواي ﴿رَبُّكَ﴾ بربوبية رحيمية خاصة ﴿فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَۖ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى﴾.

وفي مفاجأة هذه الجيئة، بهذه المشاهدة المنيعة، لقد كان القلب يجف والكيان يرتجف، موسى الفريد في صمت مخيِّم، بليل دامس، وبرد قارص وهو كارث، وأهل بلا حارس، فإذا بنداء لم تسبق لها نظير ﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ...﴾!

فأين هذه الذرة الصغيرة الهزيلة التي تتلاعب بها الرياح، وواجهة الجلال الذي لا تدركه الأبصار، وتحار دون معرفته الأفكار، وتتضاءل في ظله الظليل كل حقير وجليل، أين هي كما هيه وتلقي ذلك النداء العال من الرب المتعال، لولا اختياره؟!.

وإنها لحظة ترتفع فيها البشرية، فبحسبها أن يَليق في جزء من أجزائها أن تتصل هكذا بالملأ الأعلى، وأفضل منه وأعلى، أن يخاطبها الله بذلك النداء!.

﴿يَٰمُوسَىٰٓ ۝١١ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَۖ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى ۝١٢﴾ فأنت الآن يا موسى بقرب من الحضرة العلوية، فتجرد عن نعليك، ولا تطإ الوادي بهما وهو مجلى الطلعة المقدسة الربانية!.

أترى ﴿فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَۖ﴾ لـ ﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ﴾؟ وقد كان يعلم موسى أنه هو ربه ولم يكن خالع نعليه، وليس الذي حدث الآن معرفةٌ له جديدة أنه هو ربه حتى يخلع نعليه لـ ﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ﴾!

ثم وليس على كل موحِّد لله أن يخلع نعليه على أية حال، وإنما ﴿فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَۖ﴾ لـ ﴿إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى﴾.

والواد المقدس الذي طواه، هو واد الوحي الرسالي، وهو أقدس وادٍ في الكون، فليكن طاويه أقدس مَن في الكون، وخلع النعلين هو من كمال القداسة المناسبة لواد الوحي.

عرفنا الواد المقدس وهو مهبط الوحي فما هي «طوى» التي طوى ذكرها آيتا طوى ثانيتهما النازعات ﴿إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾[1].

قد تكون ﴿طُوًى﴾ اسماً للواد المقدس، أم اسم وصف له لأن الوصول إليه بحاجة إلى طي مسافات بعيدة من مسالك المعرفة والعبودية أمّاهيه، ولكنه يقتضي قلب التعبير كـ«إنك بطوى الواد المقدس» فالواد بَدَلٌ - إذاً - عن طوى أم عطف بيان.

أم هي مصدر الطي، منصرفةً خلاف الأولى، حالاً عن الواد المقدس وعن موسى، فهي بمعنى الفاعل والمفعول مبالغة في الطي، فاعلاً للواد المقدس حيث طوى موسى، ومفعولاً لموسى المطوي به عما سوى الله، وعما سوى الوحي، فليخلع نعليه اللذين طوياه عن نور الوحي، فليكن موسى طوًى كما الواد المقدس طوى، طياً عما طواه وحواه من حجُب، إلى ما طواه من الوحي وحواه في الواد المقدس، فلما طوى ما طوى عن أهله وتجلل عنهم وسِواهم، طواه الله بالوحي بعد انتشار حاله وتفرق باله.

وقد تكون ﴿طُوًى﴾ مثلث المعنى، اسماً وصفياً للواد المقدس وحالاً عنه وعن موسى، ويا له من سمو المعنى.

ثم وما هما النعلان اللذان أمر هنالك بخلعهما ﴿فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾؟ أهما نعلا رجليه؟ إذ كانتا من جلد حمار ميت»[2] ولبس الميتة غير مشكور، وهو في الصلاة محظور، وطوى الواد المقدس هي كالصلاة بل أولى، لذلك فرعت ﴿فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ﴾ على ﴿إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ

(١) سورة النازعات، الآية: ١٦.

(٢) تفسير البرهان ٣: ٣٣ ابن بابويه في الفقيه سئل الصادق عليه السلام عن الآية قال: كانتا من جلد حمار ميت وفي الدر المنثور ٤: ٣٩٢ أخرج عبد الرزاق والفريابي وعبد بن حميد وابن أبي حاكم عن علي عليه السلام مثله.

طُوًى﴾ وكان الواجب عليه خلعهما دون أمر، مع ما في لبسهما في الصلاة والواد من غضاضة»[١].

إلا أننا لا نعرف غضاضتها في الشرعة الموسوية وحتى في الصلاة! ولبس الميتة لا يلازم صحبتها في الصلاة، بل ولا يصح لبس النعل الطاهرة فيها لقداسة الموقف، وقدسية الواد كانت بحاجة إلى بيان وقد تبيّن ﴿إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾.

قد يعني ﴿نَعْلَيْكَ﴾ مصاديق لهما عدة، أولاها في المظهر وأولاها في

(١) نور الثقلين ٣: ٣٧٣ في كتاب كمال الدين وتمام النعمة بإسناده إلى سعد بن عبد الله القمي عن الحجة القائم عليه السلام حديث طويل وفيه قلت: فأخبرني يا بن رسول الله عن أمر الله لنبيه موسى: ﴿فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ [طه: ١٢] فإن فقهاء الفريقين يزعمون أنها كانت من إهاب الميتة قال صلوات الله عليه: من قال ذلك فقد افترى على موسى واستجهله في نبوته لأنه ما خلا الأمر فيها من خطيئتين: إما أن تكون صلاة موسى فيها جائزة أو غير جائزة فإن كانت صلاته جائزة جاز لبسها في تلك البقعة إذا لم تكن مقدسة وإن كانت مقدسة مطهرة فليست بأقدس وأطهر من الصلاة وإن كانت صلاته غير جائزة فيها فقد أوجب على موسى عليه السلام أنه لم يعرف الحلال من الحرام وعلم ما جاز فيه الصلاة وما لم يجز وهذا كفر، قلت: فأخبرني يا مولاي عن التأويل فيها قال صلوات الله عليه: إن موسى ناجى ربه بالواد المقدس فقال: يا رب إني قد أخلصت لك المحبة مني وغسلت قلبي عمن سواك وكان شديد الحب لأهله فقال الله تعالى: اخلع نعليك أي انزع حب أهلك من قلبك إن كانت محبتك لي خالصة وقلبك من الميل إلى من سواي مغسول».

أقول هذا الحديث معارض بما تقدم، ثم هو متهافت من جهات عدة، منها «جاز لبسها في تلك البقعة إذا لم تكن مقدسة» وهي مقدسة حسب نصّ الآية! اثم «فليست بأقدس وأطهر من الصلاة» وهي أقدس منها لأنها بقعة الوحي ومعراجها أرفع من معراج الصلاة! ثم «فقد أوجب الله على موسى أنه لم يعرف الحلال من الحرام» ولماذا، فحين لا يعرف أنها بقعة مباركة، على الله أن يعرفه كما عرفه ﴿إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ ولما عرف خلع نعليه، ثم «وعلم ما جاز فيه الصلاة وما لم يجز وهذا كفر»، ماذا يعني؟ فهل هو علمه بالنسبة للصلاة وجهله حكمه بالواد المقدس، وأين الكفر هنا أو الفسق والوحي يعلّمه هنا أنه الواد المقدس فاخلع، ثم لا نعلم أن ذلك الخلع كان واجباً في الصلاة كما هنا أم لا، إذاً فالحديث متضارب في نفسه بعد تعارضه الحديث الأول، وعلّ الحق ما قلناه في المتن - تأمل.

الظهور هما النعلان الملبوستان، وهذه طبيعة الحال في كل واد مقدس يطوي وارده طياً وينطوي فيه انطواءً، فكما أن أدب الحضور في الصلاة - وهي معراج المؤمن - يقتضي إصلاح الأدب الظاهر على ضوء الباطن، لبساً لطاهر الثياب ومحلَّلها ونظيفها، كذلك خلع النعلين مهما كانا نظيفين فإنهما للمشي في الطرقات دون الغرف المفروشة فضلاً عن الواد المقدس طوى، الذي هو أقدس من الصلاة وأطوى، حيث العلوم الربانية فيها مطوية، فالحفاء هناك أقرب إلى التواضع والحفاوة، ولأنه يلاصق قدمه الوادي فيتبرَّك به، كما هو يتبرك ببركة الوحي الرباني، فكيف يقدم الواد المقدس طوى وهو مطوي تعلقاً بغير الله، أم في رجليه بنعليه، أمّا هي من تعلقات تنافي الحضور المطلق.

وفي هذه الآية لمحة أكيدة أن لبس النعلين حالة الصلاة غير مشكور، بل هو محظور، ﴿إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ ولأنهما لم تقرنا بوصف الميتة أم سواها من محظورات، نتلمح أن أصل النعلين غير صالح بالواد المقدس، وأي وادٍ أقدس لنا من وادي الصلاة وهي معراج المؤمن، وحالة التطامن والذل لا يناسبها الوقوف بمظهر الماشي في الطرقات، وقايةً عن القذارات، اللهّم لمن اضطر غير متجانف لإثم فلا إثم عليه، كحالة الحرب والفرار عن المحظور، والرواية القائلة إن النبي ﷺ صلى في نعله قاحلة مفترية عليه جاهلة[1].

ومن ثم الأهل زوجة وأولاداً، حيث يتمشى بهما الآهل في حياته،

(١) في تفسير الفخر الرازي ٢٢: ١٨ وقد صلى النبي ﷺ في نعليه ثم خلعهما في الصلاة فخلع الناس نعالهم فلما سلم قال: ما لكم خلعتم نعالكم؟ قالوا: خلعت فخلعنا قال: فإن جبريل أخبرني أن فيها قذراً أقول وأقذر منه نسبة هذه الفعلة الهاتكة إلى النبي ﷺ تاركاً أمر ربه ﴿فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ [طه: ١٢].

و﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾[١] والنعل من اللباس[٢] والسالك إلى الله، وإلى وادي المقدس طوى، عليه أن ينسى أهليه وعبأهم في هذه السبيل، قدر ما هم يصدون عن السبيل، أم عن تكملتها، أم يخرج حبهم عن قلبه، مهما يهتم بأمرهم قدر الواجب في شرعة الله، فخالص الحب في الله، ولا سيما بالنسبة لمن يحمل رسالة الله، لا يلائمه حب غير الله، فـ ﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ﴾[٣] وليكن قلب الرسول مليئاً كافة من حب الله والحب في الله.

وكذلك الأمر «خوفيك» خوفه من ضياع أهله وقد خلفهما بمخض، وخوفه من فرعون»[٤] فـ ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾[٥].

فحين يريد الله أن يبلغ موساه إلى مدرجة الوحي، بالواد المقدس طوى، وهو مطوي قبله بالكثرات، يبتليه بالعسرات، حيث يسلط عليه البرد وهو مع أهله في الصحراء، وظلمة الليل، وتفرق الماشية، ومخاض المرأة، وعدم انقداح الزندة، وضلال الطريق حتى اندهش بغاية الدهشة، واستوحش بالغ الوحشة، ثم يريه نوره بمظهر النار المؤنسة، ويبلغه إلى الواد المقدس طوى، طالباً منه ﴿فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى﴾.

ومن ثم رابعة: الخلع، أن يخلع نعلي الدنيا والآخرة، ألا يهوى فيهما

(١) سورة البقرة، الآية: ١٨٧.
(٢) ورؤيا النعل والحذاء في المنام تعبر بالزوجة، ومن يقظته أن إبراهيم لما ذهب إلى مكة ليزور إسماعيل فلم يجده في بيته ولم تستقبله زوجته، قال لزوجته: إذا جاء إسماعيل فقولي له: بدِّل حذاءك، فلما سمعها إسماعيل طلقها تعبيراً للحذاء بالأهل.
(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٤.
(٤) تفسير البرهان ٣: ٣٣ - ابن بابويه بإسناد متصل إلى الصادق جعفر بن محمد عليه السلام أنه قال في قوله عز وجل لموسى: اخلع نعليك يعني ارفع خوفيك.....
(٥) سورة الأحزاب، الآية: ٣٩.